تجربة عربية وصالة انبعاثية

أيها الرفاق الاعزاء[1]

الحزب هو نتيجة المعاناة، هو ثمرة معاناة ابناء مخلصين لهذه الامة وشاعرين بمسؤوليتهم تجاهها حزموا امرهم وتوكلوا على الله وتصدوا لمهمة صعبة جدا وها قد مضى مايقرب من نصف قرن والحزب قائم يتطلع الى المستقبل بايمان وتفاؤل رغم كل المظاهر المثبطة التي نراها في الواقع العربي، فاذن هذه هي الميزة الاساسية للحزب هذا التجاوب الصميمي الخالص لوجه الامة، هذا الانقطاع لخدمة قضيتها، هذا التهيؤ النفسي والروحي والعقلي لمواكبة مصيرها، والاستجابة للواجبات المترتبة على المناضلين ولايجاد حلول لما يعترض نهضة الامة وحركة انبعاثها من عقبات ومن صدمات متسلحين بالايمان العميق الحي المتجدد على الدوام، متسلحين بالحب للامة ولتاريخها ولعبقريتها ولبطولاتها وللغتها ولابناء الشعب الذين يجسدون هذه الامة.

اعتقد بان البعثي الذي يستلهم الدوافع الاولى العميقة التي دفعت الاجيال البعثية منذ البداية وحتى الان الى العمل والنضال، يستلهم الايمان ويستلهم المحبة ويستلهم العقل والموقف العقلاني الذي هو شرط اساسي لمن يتصدى لمهمة قومية جليلة ان يكون مستوعبا لظروف الامة في حاضرها وفي ماضيها وظروف مايحيط بها.. ظروف العالم وشروط النهوض والتقدم والصراع والدفاع والمقاومة.. ان البعثي الذي يعود بين الحين والاخر الى هذه الدوافع يتذكرها، يجددها في نفسه اقدّر بانه لاينظر الى اوضاع الامة

---

(١) حديث في مؤتمر مكتب تنظيم العرب خارج الوطن في ١٩٨٦/٩/١.

نظرة تشاؤمية ولايرى مايبرر اليأس رغم كل شيء بل ان ايمانه يجعله في حالة نشوة عندما يواجه الحالات الصعبة لانه انما وجد حزب البعث وانما وجد المناضلون البعثيون للمهام التاريخية.

وهذا كان واضحا منذ البداية، بانهم مدعوون للاضطلاع بمهمة تاريخية فالبعثي في حالات الازمات المستعصية يشعر ببعثيته ويشعر بوجوده كمناضل وعندما يعود البعثي الى الرافد الاخر، الى جانب الايمان اي الى العقل والى العقلانية والى مازوده به حزبه من منطلق ومبادىء وطريقة في التحليل والتعليل لمشاكل الامة فانه يصل ايضا الى نفس النتيجة بانه ليس هناك مايدعو الى اليأس والى التشاؤم اذ ان هذه الاوضاع المؤسفة والممضة لها تفسيرها فهي ليست مستعصية على التحليل العقلاني وبالتالي ليست مستعصية على الحل لاننا اذا نظرنا نظرة متانية بعيدة عن الانفعال فيها الوضوح وفيها التجرد سنجد ان كل حالة من هذا الحالات التي نشاهدها على مساحة وطننا العربي الكبير لكل منها اسبابها القريبة والبعيدة. والنتيجة التي نخرج بها من هذا التحليل الاولي، هي ان الشعب العربي في مختلف اقطاره بريء من هذه الاوضاع وانها اوضاع مفروضة ومزورة وانها بالتالي لايمكن ان تنال من ثقتنا بشعبنا وانه مستعد دوما لتلبية نداء النضال ولسماع كلمة الحق ولان يعطي اكثر مما يطلب منه ومما يتوقع منه وهكذا كان دوما شأن الشعب.

أيها الرفاق

نحن نعيش في صميم تجربة عربية وحالة انبعاثية بكل معاني الكلمة هي وحدها كافية لكي تبعد عن نفوسنا كل اثر للتشاؤم والياس وهي كافية لكي تملا نفوسنا بالثقة والامل والتفاؤل وتجديد الايمان بامتنا وبمستقبلها، هي الحالة التي يعيشها العراق البعثي والتي نرجو ان تكون باشعاعها طريقا الى معالجة هذه المظاهر المرضية في الاوضاع العربية، على الاقل في القدوة وفي الاقتداء بأن تبعث الامل حتى في ابعد بقعة عربية عندما يصلها اخبار هذه البطولات التي تتحقق على ارض العراق، عندما يعرف العربي في كل جزء وحتى في الاجزاء النائية من الوطن هذا الصمود التاريخي وبانه لم يوجد صدفة هذا الصمود الرائع، هو بناء شامخ اعد له منذ سنين وسنين وبني على

هذه الاسس التي ذكرناها وبهذه الدوافع بالايمان بالامة وبحب الشعب وبالنضج العقلاني، النضج والحكمة حتى امكن ان يرتفع مثل هذا البناء الفريد في الواقع العربي ولكنه هو من تربة هذا الوطن ومن عبقرية هذه الامة.

اقول: ان ماتحقق للعراق هو كاف لكي يبعد عنا كل تشاؤم لكن البعثيين بطبيعة تكوينهم الفكري والنفسي والنضالي لايقنعون ولايتواكلون ولا يكتفون بان يروا مبادئهم متحققة بشكل رائع على جزء من وطنهم الكبير بل يطمحون دوما بان يروا هذه الفضائل متحققة منبعثة ومنطلقة في بقية الاقطار وبالرغم من اعجابهم الكبير الذي لاحد له بالحالة الانبعاثية التي يرونها في العراق فانهم كبعثيين يدركون بان هذه الحالة تشع وتبعث الامل والتفاؤل وتثير الاعجاب لكنها ليست بديلا عن النضال الذي يجب ان يقوم في كل قطر عربي، وليست بديلا عن الثمن الذي يجب ان يدفعه الشعب والمناضلون في كل قطر عربي حتى تصل هذه الاقطار الى ماوصل اليه العراق او على الاقل حتى يتمكن كل قطر من التغلب على مصاعبه ومشاكله وامراضه وان يشق طريقه الى النهضة..

وهنا نلمس لمس اليد المنطق الذي اعتمده الحزب منذ نشاته النظرة القومية البعثية التي ادركت منذ البداية بان المهمة الإولى والكبرى امام النضال القومي في هذه المرحلة التاريخية هي مهمة الوحدة العربية التي تأخذ في البداية شكل او صيغة وحدة النضال العربي لان اعداء الامة واعداء نهضتها مدركون لهذه الحقيقة ويبنون مخططاتهم عليها وبالتالي يمعنون دوما في تجزئة الامة وفي تفتيت كيانها وفي خلق التناقضات داخل هذا الكيان لانهم يعرفون من جهة ان مقومات الوحدة لهذه الامة متوافرة كما لم تتوافر لاية امة في العالم، عناصر الوحدة متوافرة ولكنها لاتقوم ولا تجتمع ولاتبني نفسها من نفسها هذه المقومات هي في حالة طاقات وتحتاج الى نضال المناضلين والى عقول الثوريين لكي يحولوها الى واقع ملموس لذلك ركز الحزب دوما ومنذ البداية على الوحدة العربية على وحدة النضال العربي، على العمل القومي للحزب، على التنظيم القومي - هناك اذن فراغات يجب ان تملأ، هناك اسباب كثيرة متراكمة منها الموضوعي ومنها الذاتي بالنسبة للحزب اعاقت العمل القومي واحدثت ثغرات وهذا الذي يجب ان نوجه

انتباهنا واهتمامنا اليه حتى يتعزز تفاؤلنا بالمستقبل وعندما نجد بان هناك نواحي اهملت او لم تعط حقها من الاهتمام ومن بذل الجهدفالبعثي لايبأس بل يجد ان الفرصة مازالت متاحة وانه يستطيع تدارك الوقت الذي ضاع وان يؤكد حضوره في الساحة القومية وان يتعاون ايضا بدون ضيق وبدون استئثار، ان يتعاون مع الفئات القريبة من فكره ومن منهجه والتي يلتقي معها على بعض الاهداف، والعمل القومي هو ليس شيئا يمكن ارجاؤه، نظرة الحزب أيها الرفاق اذا رجعتم الى ادبيات الحزب ـ نظرة الحزب في هذا الموضوع نظرة علمية صارمة تطرح الموضوع بكل جديته وقسوته بان اعداء الوحدة كثر وليس فقط الاستعمار والامبريالية والصهيونية والرجعية، ان اعداء الوحدة اكثر من ذلك، هذه الكيانات صنع الاجنبي اكثرها واعدها لكي تكون اذا ما اضطر ان يجلو منها قابلة لعودة نفوذه، ان تكون عامل عرقلة للنهضة العربية وعامل عرقلة للوحدة العربية بدلا من ان تكون رافدا من روافد النهضة والوحدة.

والعمل القومي البعثي يتطلب هذا التحليل العلمي الجريء الثاقب لكي نخرج بنتيجة مهمة كثيرا ماقالها الحزب ولو ان القول وحده لايكفي وهي ان الوحدة ثورة، انها تواجه في طريقها كل الصعوبات التي تواجهها الثورات الجدية ويجب ان يعد لها كل الاعداد الجدي المفترض في الثورات لان الوحدة لن تكون محصلة طبيعية وآلية لمسيرة الاقطار ولما تنتجه الاقطار العربية اذا لم يكن هناك العمل الوحدوي الثوري المتصدي للميول القطرية وللمؤآمرات التي يصنعها اعداء الامة لكي يؤجلوا زمن تحقيق الوحدة ولكي يبعدوا عنها ولكي ييئسوا الشعب منها، ان هذا الانحدار الذي نراه في هذا الواقع المتردي، الانحدار من هدف الوحدة العربية والرسالة العربية والنهضة التاريخية الى العصبيات الذميمة التي فتتت الآمال القومية والطموح القومي الى غايات هزيلة ووضيعة، فاذن اذا كنا بحاجة بين الحين والآخر الى ان نعود الى افكارنا ومبادئنا نجددها ونتعمق فيها ونستلهمها ونقارن بينها وبين الواقع فلا شك ان اهم مايجدر بنا ان نرجع اليه هو هذه الناحية وقد كانت نظرة الحزب واقعية بان العمل الوحدوي ليس عملا فوقيا وانما هو نضال شعبي جماهيري من خلال نضال الشعب في كل قطر من اقطار الوطن في سبيل معيشة الشعب، خبز الشعب، حرية الشعب،

كرامة الشعب، في سبيل تحرره من الاجنبي في سبيل تحرره من الطغيان الداخلي، في سبيل تحرره من الاستغلال الطبقي، يدخل النضال الوحدوي ممتزجاً امتزاجا عضويا بنضال الجماهير في اقطارنا المختلفة من اجل قضاياها الحياتية، من اجل قضاياها المصيرية سواء كانت متعلقة بالقطر نفسه او بالامة. . هذه النظرة الواقعية الحية الى النضال الوحدوي هي التي ميزت نظرة البعث، لم تعد قضية الوحدة هي مشاريع بين الحكام ولا مشاريع في الجامعة العربية وانما هي نضال ونضال عسير ممتزج بالنضال اليومي لجماهير الشعب في كل قطر.

ان الافكار التي طرحها الحزب، أيها الرفاق، قبل نصف قرن اصبحت مشاعة، لم تعد مقتصرة على ابناء الحزب لذلك قد تجدون وقد تقرأون كتابات لمناضلين ولمفكرين بمنطق البعث تماما، وهذا يسرنا ولايسوؤنا بأن تنتشر افكار الحزب وان يتبنى منطق الحزب ولذلك ستجدون فئات وافرادا قريبين منكم ومن تفكيركم للوصول الى هذه الصيغة التي تستطيع وحدها أن تسيطر على الظروف المفتعلة التي تشل فاعلية الشعب العربي وفاعلية الاقطار العربية كما هو مشاهد اليوم عندما نبلغ هذا المستوى من التفاهم ومن التعاون، اولا البعثيون حيث يوجدون في الاقطار العربية، ثانيا البعثيون مع المناضلين القوميين، مع المفكرين القوميين ان يصلوا الى صيغة تجدد وحدة النضال العربي التي تجلت بشكل تاريخي في الخمسينات من هذا القرن عندما كان العدوان او مجرد التهديد لقطر عربي من قبل الاستعمار يحرك المائة مليون عربي وفي ذلك الحين لم يكن العرب اكثر من مائة مليون، كانوا يتحركون من اجل مصر، يتحركون من اجل الجزائر يتحركون من اجل العراق يتحركون من اجل سوريا يتحركون من اجل عدن من اجل ليبيا وهذه القوة الشعبية النضالية كانت تستطيع ان تجبر القوى المعادية من الاستعمار والصهيونية والرجعية على التراجع قد تحتاج الى صيغة جديدة في الظروف الراهنة ولكن المبدأ يبقى هو هو، يجب ان تعود وحدة نضال شعبنا العربي، يجب ان تتحطم الحواجز بين الاقطار امام نضال المناضلين، اذا لم تتحطم الحواجز الرسمية امام الحكومات فيجب ان تتحطم الحواجز الشعبية امام نضال المناضلين ولو تطلب ذلك وقتا، ولو تطلب ذلك جهدا مريرا، ولو أتت البداية

متواضعة، فنحن نؤمن بأن هذا هو الطريق الصحيح وهذا هو قدر الشعب العربي لأن يعود الى الشعور الموحد والى النضال والدفاع عن المصير الواحد وهذه مهمة شيقة جديرة بمناضلي حزبنا.

آمل ان تبرهنوا بان حزبنا مازال قادرا على ولوج المستقبل بروح فتية وبقوة متجددة، أرجو لكم كل توفيق في عملكم.. والسلام.

١ أيلول ١٩٨٦